الشيخ رائد صلاح

تمهيد

فرضت ظروف الاحتلال الصهيونى لفلسطين الحبيبة تلاحمًا وتماسكًا واضحًا بين فلسطينيى ١٩٤٨ (داخل الخط الأخضر)، وفلسطينيى الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ فى الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشريف، وقد أكدت الأحداث المتتابعة على الساحة الفلسطينية واشتعال انتفاضة الأقصى المباركة أن فلسطينيى ١٩٤٨ لا يقلون حماسًا وغيرة على أرضهم وهُويتهم الفلسطينية العربية الإسلامية من إخوانهم فى الضفة والقطاع والمخيمات، ويبدون استعدادًا دائمًا لمقاومة الغطرسة الصهيونية، والانخراط مع إخوانهم فى مختلف أعمال المقاومة والمناهضة للصهاينة، رغم القيود المفروضة عليهم قانونيًا وعسكريًا.

وعقب اقتحام شارون لساحة المسجد الأقصى فى ٢٨ من سبتمبر ٢٠٠٠م انتفض فلسطينيو ١٩٤٨ فى مواجهة القوات الإسرائيلية فى مدن الناصرة، وأم الفحم، والجليل، واللد، وحيفا، والرملة، مما أسفر عن سقوط أكثر من ١٥ شهيدًا ومئات الجرحى بنيران الجنود الصهاينة التى لم تميز بين رجل وامرأة شيخ وطفل صغير، وقد نجح فلسطينيو ١٩٤٨ فى الحفاظ على هويتهم الإسلامية وأصالتهم القومية والوطنية، وبرغم المخاوف من الذوبان فى المجتمع الصهيونى بشكل شبه كلى حتى بداية الستينيات، فقد نجحت الصحوة الإسلامية المباركة فى إنقاذ فلسطينيى الداخل وقيمهم ولغتهم العربية.

ورغم أن عددهم قد تجاوز (مليونًا وثلاثمائة ألف نسمة) فإنهم لا يشعرون بالأمان أو القدرة على التعايش مع المؤسسة الصهيونية، خاصة وأن الأجهزة اليهودية التى أشرفت على تنفيذ المشروع الصهيونى، وإقامة الدولة ما زالت تنظر إلى الوجود العربى داخل الخط الأخضر على أنه وجود مؤقت، ولهذا تتداول - هذه الدوائر الصهيونية - فيما بينها خيار الترانسفير بالنسبة لهؤلاء الفلسطينيين أو مقايضتهم بمستعمرات فى الضفة وغزة.

وفى مواجهة هذه المخاطر التى تتهدد وجود فلسطينيى ١٩٤٨ قامت الحركة الإسلامية فى فلسطين داخل الخط الأخضر بهدف الحفاظ على هويتهم العربية الإسلامية، ومواجهة كافة الإجراءات والسياسات الصهيونية الرامية إلى تذويبهم داخل الدولة الصهيونية أو ترحيلهم منها، فضلاً عن ممارسة دورها فى مقاومة الاحتلال الصهيونى وممارساته الإجرامية جنبًا إلى جنب مع إخوانهم من أبناء الشعب الفلسطينى.

ويُعد الشيخ رائد صلاح - وهو الرئيس الحالى للحركة الإسلامية داخل فلسطين المحتلة ١٩٤٨، ورئيس مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية - واحدًا من أشهر الشخصيات السياسية التى تصدت لمواجهة هذه السياسات العدوانية الصهيونية بحق الفلسطينيين ومقدساتهم التى تتعمد إسرائيل الاعتداء عليها، وتحويلها لأغراض أخرى بعد ترحيل أهلها عنها.

كما يعتبر الشيخ المجاهد عضوًا مهمًا فى لجنة المتابعة التى تقود الجماهير العربية فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨؛ وكزعيم لحركة سياسية ظل الشيخ يرفض أية مساومات أو تنازلات تجاه الكيان الصهيونى، وظل يعلن مقولته المشهورة (أنا لا أستطيع إعطاء شرعية لمن لا يعترف بشرعيتى)، وبسبب مواقفه السياسية الثابتة تجاه الكيان الصهيونى تعرض الشيخ لصور شتى من الاضطهاد والتضييق من قبل السلطات الإسرائيلية تراوحت بين محاولات فاشلة لاغتياله عام ٢٠٠٠ فى مواجهات انتفاضة الأقصى، والتى أصيب خلالها برصاصة فى وجهه، ومرورًا بقرار وزير الداخلية الصهيونى بمنعه من مغادرة البلاد عام ٢٠٠٣ انتهاء باعتقاله فجر ١٣/ ٥/ ٢٠٠٣ مع أربعة عشر من رفاقه من نشطاء الحركة الإسلامية فى أم الفحم، وما زال رهن الاعتقال ضمن (رهائن الأقصى).

ويأتى هذا الكتاب ضمن فعاليات الحملة الدولية التى أطلقتها مؤسسة القدس للدفاع عن المجاهد رائد صلاح ورفاقه ليلقى الضوء على سيرة الشيخ المجاهد، وأهم ملامح حياته، وأبرز محطاته ومواقفه تجاه الاحتلال الصهيونى، وقضية القدس والمقدسات الإسلامية، وقضايا المسلمين فى العراق وأفغانستان، وواجب العرب والمسلمين حكامًا وشعوبًا فى مواجهتها.

يدور الكتاب حول ثلاثة محاور:

مدخل: الوضع الداخلى لفلسطينيى ١٩٤٨.

المحور الأول: ملامح من حياة الشيخ رائد صلاح.

المحور الثانى: أهم المحطات فى حياة الشيخ.

المحور الثالث: قبسات من مواقفه وجهاده.

مدخل

الوضع الداخلى لفلسطينيى ١٩٤٨: الواقع والتحديات

يمثل فلسطينيو ١٩٤٨ ركنًا أساسيًا فى عملية التسوية السياسية مع الكيان الصهيونى، وأى استبعاد لهذه الكتلة الفلسطينية - ذات النوازع الوطنية والقومية والإسلامية - تضفى قدرًا من الغموض والضبابية على مصير أى تسوية شاملة وعادلة للقضية الفلسطينية.

ومع ذلك فهم يعيشون واقعًا مريرًا فى ظل سيطرة الفكرة الصهيونية على سياسة الدولة، والرامية إلى التعامل مع فلسطينيى ١٩٤٨ وفق خيارين: إما إدماجهم واستيعابهم بالمعنى الفكرى وليس المادى، أو استئصالهم وطردهم خارج جغرافية إسرائيل ومستوطنيها اليهود، وبينهما بدائل فرعية أقل تطرفًا من الإدماج والطرد كالعزل العنصرى، والتهميش السياسى والاقتصادى، وتعويم الهوية الذاتية بهدف تحويل العرب إلى «موزاييك» بلا رابطة أو آصرة جماعية مميزة، وهذا الواقع يعبر عن أزمة التبعية السياسية التى تعايشها هذه الشريحة، وعدم الاتساق، والمكانة القلقة التى تجابههم بين مشروع فلسطينى مذبذب تجاه مصيرهم، وبين مشروع أو كيان صهيونى لافظ لهم بالحتمية التى حسمها عرب ١٩٤٨ بخيار الانتماء إلى الهوية العربية - الإسلامية، والتضامن الكامل مع معاناة الشعب

الفلسطينى فى القطاع والضفة والقدس الشريف، ومما يؤكد ذلك أن عرب ١٩٤٨ شاركوا بجدية فى انتفاضة الأقصى أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٠ بقرابة ٣٠٠ ألف فلسطينى، أى حوالى ٢٥٪ من عرب الداخل، سقط منهم ١٣ شهيدًا، و٨٠٠ جريح، و٨٠٠ معتقل.

ومن ناحية أخرى؛ فإن الحركة الإسلامية فى الداخل الفلسطينى منذ تأسيسها وهى تسعى إلى فهم الواقع الذى تعيش فيه، وتحديد إمكاناتها، ومن ثم تحديد سياسة عملها، ومراحل مسيرتها، وجعلت التواصل مع الشعب الفلسطينى فى قطاع غزة والضفة الغربية والقدس الشريف أحد أهم عناصر أجندتها الاستراتيجية، وارتبط بهذا التواصل تواصلاً مكملاً مع العالم العربى والأمة الإسلامية والمؤسسات العالمية فى العالم العربى والإسلامى.

وحول هذا التواصل يقول الشيخ رائد صلاح: «علاقتنا بحماس والجهاد الإسلامى هى جزء من علاقتنا مع شعبنا الفلسطينى الذى نحرص على أمنه وسلامته، وتحقيق مشروعه العادل، لكن ليس هناك تنسيق فى الجانب العسكرى، سواء مع حماس أو الجهاد الإسلامى، وما يحدث من عمليات استشهادية هو رد فعل طبيعى للممارسات الإسرائيلية الظالمة والمخالفة لكل الشرائع والأعراف والمواثيق الدولية».

ويقف عرب ١٩٤٨ فى مواجهة مؤامرة الكيان الصهيونى للقضاء على هويتهم العربية والإسلامية، من خلال مصادرة أرضهم، وهدم بيوتهم، والحد من فرص تزايدهم العددى الطبيعى، والتحكم فى جهاز التربية والتعليم وتحويله إلى أداة سيطرة عليهم، وهذه الممارسات تشكل ضغطًا ثقيلاً يتهدد مستقبلهم وقدرتهم على التماسك فيما بينهم كأفراد مجتمع له تاريخه وحاضره وامتداده الإسلامى العربى.

الأمر الذى دفع الحركة الإسلامية إلى طرح مشروع المجتمع العصامى بإقامة المشروعات وعشرات المؤسسات والجمعيات ذات الأهداف المختلفة التى تهتم بشئون الأمومة والطفولة والتعليم والصحة والاقتصاد، وخدمة المقدسات، وإقامة المدارس الأهلية والكليات.

كما عملت على توثيق لقاءاتها مع بعض التيارات السياسية التى تعمل فى المجتمع الفلسطينى داخل الخط الأخضر لخدمة قضايا الشعب الفلسطينى من خلال هيئتين: اللجنة القطرية للسلطات المحلية العربية، ولجنة المتابعة العليا للجماهير العربية.

المحور الأول

لمحات من حياة الشيخ المجاهد

يقول الشيخ رائد صلاح عن نفسه: «ولدت عام ١٩٥٨ فى مدينة أم الفحم، تعلمت المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية فى مدارس أم الفحم، ثم أكملت تعليمى الجامعى فى كلية الشريعة بمدينة الخليل، بعد تخرجى من كلية الشريعة أدخلت السجن بتهمة الارتباط مع منظمة محظورة (أسرة الجهاد)، وكان ذلك عام ١٩٨١، ثم بعد الخروج من السجن فرض علىَّ الإقامة الجبرية لفترة طويلة، حيث كنت خلالها ممنوعًا من مغادرة مدينتى طوال الوقت، وممنوعًا من مغادرة بيتى خلال الليل، ثم كنت ملزمًا بإثبات وجودى مرة أو مرتين كل يوم فى مركز شرطة وادى عارة».

وعن تجربته مع التدريس يقول: «حاولت أن ألتحق فى سلك التعليم كمعلم فى مدارس أم الفحم، إلا أن وزارة المعارف رفضت طلبى بأسلوب ردىء جدًا، فعملت فى المهن الحرة، حيث وفقنى الله تعالى عام ١٩٨٥ بالزواج، وبناء بيت (وهو أب لسبعة أبناء)، ثم انتقلت عام ١٩٨٦ للعمل كأحد محررى مجلة الصراط الشهرية الإسلامية حتى نهاية ١٩٨٨م».

مع الانتخابات

بعد ذلك تفرغ الشيخ فى مطلع ١٩٨٩ لخوض انتخابات رئاسة بلدية أم الفحم عن الحركة الإسلامية، وقد وفقه الله تعالى ونجح بنسبة تزيد على ٧٠٪، ثم خاض الانتخابات للمرة الثانية عام ١٩٩٣، ونجح أيضًا بنسبة تزيد على ٧٠٪، وكذلك الحال فى المرة الثالثة عام ١٩٩٨، وخلال هذه السنوات (منذ ١٩٩٦) تقلد مهمة رئيس الحركة الإسلامية، بالإضافة إلى مهمته كرئيس لبلدية أم الفحم، وكذلك تقلد مهمة رئيس مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، ورئيس مؤسسة الإغاثة الإنسانية.

وقد حدد الشيخ من خلال الحركة الإسلامية أن مهمتهم تتمثل فى إعمار وإحياء المسجد الأقصى المبارك، وإحباط كل محاولات الاعتداء عليه، مما اضطره للاستقالة من بلدية أم الفحم فى أواخر ٢٠٠١، حيث تفرغ نهائيًا بعدها للعمل الإسلامى من خلال دوره كرئيس للحركة الإسلامية، وكرئيس لمؤسسة الأقصى، ومؤسسة الإغاثة الإنسانية.

وخلال هذه السنوات اشتدت عليهم الحملة الرسمية وغير الرسمية من قبل أذرع المؤسسة الإسرائيلية والإعلام العبرى الذى راح يتهمهم بالإرهاب، وبتهديد أمن الدولة، لذلك تعرض الشيخ للتحقيق البوليسى، ومنع من السفر خارج البلاد، ومنع من دخول المدارس والجامعات لإلقاء المحاضرات، وظلت حملة التحريض تشتد عليه هو ورفاقه فى الحركة الإسلامية حتى تعرضوا للاعتقال ليلة ١٣/ ٥/ ٢٠٠٣، حيث كان الشيخ يجلس بجوار والده المريض فى المستشفى الذى كان يحتضر.. وما زال الشيخ ورفاقه رهن الاعتقال.

من صور القهر الصهيونى

وبعد مرور ما يقرب من عام على اعتقال الشيخ رائد صلاح كشف عن حقيقة اعتقاله ورفاقه، ووضعهم القانونى داخل المعتقل، فيقول: «مجرد اعتقالنا هو بمثابة قهر سياسى صارخ واضطهاد دينى أسود»، إذ تحاول بعض العناصر فى المؤسسة الإسرائيلية التضييق عليهم يومًا بعد يوم من خلال الممارسات الآتية التى تستهدف - عبثًا - كسر عزائمهم:

- حرمانهم من إقامة صلاة الجمعة مع بقية المعتقلين فى أى معتقل ينتقلون إليه.

- حرمانهم من استخدام جهاز الهاتف للاتصال بطاقم

المحامين الذين يتولون الدفاع عنهم.

- محاولة تضييع وقتهم وإبقائهم فى سفر دائم متنقلين بين المحاكم والمعتقلات بهدف الحيلولة بينهم وبين الدفاع عن أنفسهم، كما يجب.

- وضع الأغلال فى أيديهم وأرجلهم طوال فترة السفر، وقد يستغرق ذلك أكثر من ثلاث ساعات.

- عدم السماح لهم بالتوجه إلى المستشفيات - لتلقى العلاج اللازم - إلا بعد تدخل طاقم المحامين وجمعية الميزان لحقوق الإنسان، حتى إن الشيخ رائد صلاح رُزق خلال فترة اعتقاله بمولوده (صلاح الدين)، ولم تمكنه السلطات الإسرائيلية من رؤيته إلا مرة واحدة، الأمر الذى أثار حفيظة جمعية حقوق المواطن الإسرائيلى، ودفعها لرفع قضية قضائية ضد مديرة السجون.

وللأسف، فإن اعتقال الشيخ المجاهد ورفاقه لا يستند إلى أرضية قانونية؛ لأنه مجرد اعتقال سياسى هدفه الأول تجريم القيم الإسلامية التى ينتمون إليها ويدافعون عنها، والادعاء بأن قيم الزكاة وكفالة اليتيم وصدقة الفطر والصدقة الجارية هى قيم إرهابية يجب محاربتها، وفى النهاية فهذا الاعتقال جزء من الحملة العالمية الإرهابية لمحاربة الإسلام، وهذا يفسر مطالبة جهاز المخابرات الإسرائيلية لهؤلاء المعتقلين بنقد المقاومة الفلسطينية، والاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على المسجد الأقصى بما يتناسب مع الخطاب الإسرائيلى الرسمى، وكأنهم يعاقبونهم كحركة إسلامية على (مشروع المجتمع العصامى) الذى يعد مشروع الحركة الحضارى الواعد الذى تقدمت به الحركة الإسلامية لفلسطينيى الداخل للحفاظ على الهوية، وبناء الذات بطاقات ذاتية وموارد ذاتية بعيدًا عن أية تبعية.

المحور الثانى:

محطات ومواقف فى حياة الشيخ رائد صلاح

مرت حياة الشيخ المجاهد بمحطات مهمة تركت بصماتها على جهاده ومواقفه السياسية، على النحو التالى:

المحطة الأولى: فى مواجهة الإلحاد

فى أثناء دراسته الثانوية هبت على الطلاب رياح الإلحاد فجاهد بقوة لزيادة حصيلته الإيمانية والثقافية للانتصار لانتمائه الإسلامى، ومواجهة هذه الريح الإلحادية العاتية، وكان زاده الثقافى فى هذه المرحلة بعض كتب د. مصطفى محمود: «القرآن محاولة فهم عصرى»، و«لغز الحياة»، و«لغز الموت»، وكذلك كتاب «نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها» للأستاذ قيس قرطاس الذى قوى عزيمته، ودفعه إلى الإصرار على التعرف على ذاته وهويته وتاريخه وحقيقة انتمائه إلى الإسلام.

المحطة الثانية: اكتشاف الذات

منذ مطلع عام ١٩٧٦ وفى أثناء دراسته بكلية الشريعة بمدينة الخليل أقبل الشيخ بنهم على كتب أساتذة الصحوة الإسلامية ومفكريها.. الإمام الشهيد حسن البنا، والشهيد سيد قطب، أ. محمد قطب، د. رمضان البوطى، د. مصطفى السباعى، د. يوسف القرضاوى، د. عماد الدين خليل، الشيخ محمد الغزالى، الشيخ أبو الأعلى المودودى، الشيخ أبو الحسن الندوى وغيرهم.

مما ولَّد لديه شعورًا قويًا بأنه وُلد من جديد، واكتشف ذاته بعد طول غياب، وتعرَّف على مهمته فى الحياة، ألا وهى الدعوة إلى الله، والعودة بالمجتمع الفلسطينى إلى أبعاده الإسلامية الصافية والصادقة.

المحطة الثالثة: فى رحاب الحركة الإسلامية

بعد تخرجه من كلية الشريعة وعودته إلى أم الفحم بدأ يلتحق بالحركة الإسلامية فى مجتمع فلسطينيى ١٩٤٨، من خلال التعرف على رئيسها الشيخ عبد الله نمر درويش، والتغلغل فى فعاليات الحركة لإحياء الدين فى مجتمع فلسطينيى ١٩٤٨، من خلال بناء المؤسسات الإسلامية، وإحياء الإعلام الإسلامى، وتكثيف الفعاليات الإسلامية القطرية الشاملة، وكان لهذه الجهود صدى طيب، إذ أدت إلى تغلغل الحركة الإسلامية فى مجتمع الرجال والنساء والمدارس والجامعات، وفى مجتمع الشباب خاصة.

المحطة الرابعة: الانتفاضة الأولى ١٩٨٧م

على إثر اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧ كرست الحركة الإسلامية جهدًا خاصًا لمشروع الإغاثة وكفالة الأيتام ومساندة المرضى، وتفعيل الدعم الإنسانى للشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشريف، من خلال جمعية الإغاثة الإسلامية التى نجحت فى كفالة (١٣ ألف يتيم فلسطينى)، لكنها تعرضت للإغلاق من قبل المؤسسة الإسرائيلية.. وما زالت مؤسسة جمعية الإغاثة الإنسانية تقوم بهذا الدور حتى الآن، وتكفل (١٥ ألف يتيم).

المحطة الخامسة: معاناة وتواصل

من خلال عمله كرئيس لبلدية أم الفحم على مدار ثلاث دورات انتخابية منذ ١٩٨٩ وقف الشيخ على حقيقة المعاناة التى يعيش فلسطينيو ١٩٤٨ تحت وطأتها منذ نكبة فلسطين، وواقع الاضطهاد الدينى والظلم التاريخى والقهر السياسى والاقتصادى والإنسانى الذى تمارسه ضدهم المؤسسة الإسرائيلية، الأمر الذى دفعه إلى التواصل مع الأمة العربية والإسلامية والشعب الفلسطينى، بهدف الحفاظ على هويتهم، وبناء ذاتهم، والتمسك بالبقاء على أرضهم، ومقاومة فكرة ترحيلهم.

المحطة السادسة: أداء فريضة الحج ١٩٨٩م

وقتها شعر الشيخ بأنه نجح فى تجاوز حواجز الزمان والمكان بعد أن التحم بجذور هويته الإسلامية، وبعد أداء الفريضة عاد إلى أم الفحم عالى الهمة، مشرق الأمل.

المحطة السابعة: إعادة البناء

تعرضت الحركة الإسلامية لخلاف شديد عام ١٩٩٦ أدى إلى

انشقاقها، لكن هذا الحدث قوى قناعة الشيخ بضرورة إعادة بناء الحركة الإسلامية، ومأسسة مشاريعها، وجعلها ذات أبعاد شاملة تحيط بكل الهموم الفلسطينية، وبكل مركبات حياتهم ومجتمعهم، فبدأ يدعم ويزيد عدد الجمعيات الخدمية التابعة للحركة، فبالإضافة إلى الجمعيات التى كانت تهتم بشئون الإغاثة وكفالة الأيتام وإعمار وإحياء الأوقاف والمقدسات عامة، والمسجد الأقصى خصوصًا، وإحياء الإعلام الإسلامى، والفن والأدب الإسلامى، وبالإضافة إلى كلية الدعوة والعلوم الإسلامية، وعشرات دور القرآن والمراكز الإسلامية الثقافية والروضات والعيادات الإسلامية - بدأ الشيخ ورفاقه فى الحركة يقيمون مؤسسات وجمعيات تهتم بشئون الأمومة والطفولة ودور المرأة وواقع الأبناء والشباب وعالم الرياضة، وطلاب المدارس والجامعات، وبناء المستشفيات والمدارس الأهلية، والاقتصاد الأهلى، وتعميق التواصل مع هموم أهالى فلسطينيى ١٩٤٨ فى الجليل والمثلث والنقب والمدن الساحلية، والتواصل مع مركبات هذا المجتمع السياسية والدينية.

المحطة الثامنة: فى مواجهة الحفريات الإسرائيلية تحت المسجد الأقصى

عندما اكتشف الشيخ وبعض إخوانه قيام المؤسسة الإسرائيلية بإجراء حفريات، وحفر نفق جديد تحت حرم المسجد الأقصى المبارك عام ١٩٩٦ أعلن عزمه على إعمار وإحياء المسجد، ودفع كل خطر يتهدده، وبدأ جهوده بمشروع إعمار المصلى المروانى، ثم إعمار الأقصى القديم، ومواصلة سلسلة الإعمار والإحياء التى ما زالت مستمرة حتى الآن بفضل الله تعالى، ومتابعة لهذه الجهود تمت إقامة مهرجان «الأقصى فى خطر» الأول عام ١٩٩٦، واستمر هذا التقليد سنويًا، حيث تحول إلى مهرجان عالمى تحضره الفضائيات العربية والأجنبية، ويشارك فى فعالياته أكثر من ٧٠ ألفًا من الفلسطينيين، وعلى ضوء ذلك أقامت الحركة الإسلامية مشروع «صندوق طفل الأقصى» ومؤسسة «مسلمات من أجل الأقصى».

المحطة التاسعة: المجتمع العصامى والاعتقال

فى عام ١٩٩٨ حاولت أذرع المؤسسة الإسرائيلية مصادرة عشرات الآلاف من الدونمات من أراضى فلسطينيى ١٩٤٨ فيما عرف «بأحداث الروحة»، وعندما تصدى لها رجال الحركة قامت قوات حرس الحدود باقتحام مدينة أم الفحم، وجرحت ١٠٠ طالب وطالبة، وحوالى ٥٠٠ من الأهالى، وتكرر هذا الحدث بصوره أفظع عام ٢٠٠٠ عندما هبت الجماهير الفلسطينية جميعها على إثر اقتحام شارون للمسجد الأقصى المبارك، وأدت المواجهات إلى سقوط ١٣ شهيدًا من فلسطينيى ١٩٤٨، وجرح المئات مما دفع المؤسسات الرسمية الغذائية والخدماتية أن تقاطع كلية مجتمع فلسطينيى ١٩٤٨، مما خلف صورًا رهيبة من المعاناة لكل الفئات ونقصًا واضحًا فى العلاج والخدمات الطبية، ورفع معدل البطالة بين الأهالى بسبب تعرض الآلاف منهم للطرد من أماكن عملهم، مما دفع الحركة إلى إعلان «مشروع المجتمع العصامى» الذى يستهدف بناء المؤسسات الأهلية من أجل توفير الخدمات الشاملة للأهالى فى كل المجالات، سواء كانت صحية أو غذائية أو تعليمية أو اقتصادية، واستثمار القدرات المالية والعلمية والأراضى المتاحة لإنجاز هذا المشروع، مع الإصرار على التواصل مع الأمة العربية والإسلامية والشعب الفلسطينى.

وبدأ تنفيذ المشروع والمضى فيه إلى تاريخ اعتقال الشيخ الجليل (١٣/ ٥/ ٢٠٠٣).

أنا ثالث الحرمين لا أبغى سوى

أن تستحى من نكبتى يا أمتى

المحور الثالث

قبسات من مواقفه وجهاده

كان الشيخ رائد صلاح - ولا يزال - رمزًا للصحوة الإسلامية، وعلمًا من أعلام الجهاد الإسلامى فى مواجهة البطش الصهيونى فكريًا وحركيًا.. فإلى جانب نشاطه البارز فى رحاب الحركة الإسلامية ومؤسسة الأقصى، لإعمار المقدسات ومؤسسة الإغاثة الإسلامية والإنسانية كان صاحب فكر ثاقب ورأى جرىء وقلم ماض أشهره فى معركة المصير، وعبّر من خلاله عن مواقفه الثابتة إزاء قضية المسجد الأقصى التى نذر لها حياته، ودعم الانتفاضة والمقاومة الباسلة، وفضحه للمؤامرات الأمريكية - الصهيونية على مقدرات الأمة العربية والإسلامية بدعوى محاربة الإرهاب.

وفيما يلى نبرز أهم آرائه ومواقفه الجهادية إزاء القضايا المتأججة على الصعيدين العربى والإسلامى، فضلاً عن الصعيد الفلسطينى، من وحى مقالاته وإسهاماته الفكرية فى هذه القضايا:

أ - المسجد الأقصى فى خطر:

يؤكد الشيخ رائد صلاح أن تواصل الحفريات الإسرائيلية تحت حرم المسجد الأقصى منذ عام ١٩٦٧ هو السبب الأول للانهيارات التى وقعت فى جزء من سور المسجد الأقصى المبارك، وأن الادعاءات الصهيونية بأن انهيار الجدار الأخير المجاور لباب المغاربة سببه الزلزال الذى ضرب المدينة المقدسة فى شباط/ فبراير الماضى هو محض ادعاء تضليلى قبيح، لكن هذه الادعاءات تحمل فى طياتها أخطارًا مستقبلية قد تدفع المؤسسة الإسرائيلية إلى استغلال هذا الانهيار تحديدًا، وتمنع ترميمه للإبقاء على باب المغاربة معلقًا فى الهواء على ارتفاع عال، وهو الأمر الذى يمكن المؤسسة الصهيونية من الانفراد المطلق بحائط البراق (المبكى) الملاصق تمامًا لباب المغاربة على اعتبار أن باب المغاربة لن يستعمل بعد الانهيار كأحد مداخل المسجد الأقصى، وتتواصل مخاطر احتمالات وقوع انهيارات أخرى فى كل لحظة، لاسيما أن هذا الكيان الصهيونى يملك القدرة على إحداث تفجيرات قوية

وهائلة، وتوجيه موجات هذه التفجيرات القوية إلى أركان المسجد الأقصى، ولا يستبعد إمكانية إحداث زلزال اصطناعى تحت المسجد الأقصى، الأمر الذى يفرض سرعة المواجهة، والعمل على إيقاف الحفريات، ثم ترميم كل تصدع فى المسجد الأقصى ينتج عن هذه الحفريات بشرط أن يتم الترميم بأيد مسلمة عربية فلسطينية فقط.

لأن قضية المسجد الأقصى لا تخص الفلسطينيين وحدهم، إنما هى قضية إسلامية - عربية - فلسطينية، والدفاع عن المسجد الأقصى وعدم تمكين السلطة الصهيونية من استكمال مؤامراتها لهدمه أو جزء منه أمانة فى عنق كل مسلم وعربى على صعيد الحكام والشعوب والدعاة والعلماء، ومن ثم فالتخلى عن هذه الأمانة أو إهدارها يمثل إثمًا عظيمًا على الجميع لن يرتفع إلا بالعمل على رد كرامة المسجد الأقصى.. أولى القبلتين وثالث الحرمين.

ولعل هذا الموقف الأبى يحمل فى طياته رسالة موجهة إلى الحكومة والمؤسسة الصهيونية حذرهم فيها الشيخ رائد صلاح من أن احتلالهم للمسجد الأقصى منذ عام ١٩٦٧، وحفرياتهم المتواصلة تحت حرمه فى ظل حماية القوة العسكرية غير التقليدية لن تمنحهم شرعية الوجود أو السيطرة على المسجد، فهو مسجد العرب والمسلمين وليس للصهيونيين أدنى ملكية ولو فى حجر واحد من أحجاره، أو ذرة تراب من ترابه، وأن استمرارهم فى انتهاك حرمة المسجد سيعرضهم لصدام دينى مع الأمة الإسلامية والعالم العربى غير مأمون العواقب.

ب - الجدار الفاصل .. ومحكمة لاهاى

عبر الشيخ المجاهد مرارًا عن رفضه وإدانته للجريمة الجديدة فى السجل الصهيونى الأسود التى ترجمها بناء الجدار العازل «الفاصل» فى الضفة الغربية، وطالب بتكثيف الجهود والضغوط على كل الأصعدة، وبخاصة من خلال إقامة هيئة إسلامية عربية إغاثية تخصص لهذه المهمة، وتمول على المكشوف، وتقدم دعمها لكل عائلة فلسطينية، وفق ما تستحقه على ضوء معيار مكشوف، ومن خلال أرقام حسابات بنكية مكشوفة لكل عائلة.

فإن اعتذرنا عن القيام بذلك على الصعيد الإسلامى والعربى فنحن عن سبق إصرار لا نريد دعم الشعب الفلسطينى ولا القضية الفلسطينية، ونسعى إلى حل جذرى للقضية بواسطة تصفيتها جذريًا، فإذا فتح باب الترحيل وأغلق باب حق العودة، فماذا بقى منها؟!

وفى الوقت ذاته شكك الشيخ فى حكم محكمة لاهاى التى تنظر فى شرعية هذا الجدار بقوله: «إن محكمة لاهاى فى أحسن الأحوال قد تدين الحكومة الإسرائيلية، وقد تطالب بإعادة بناء الجدار على حدود الخط الأخضر ١٩٦٧، لكنها سوى ذلك لا تستطيع أن تصنع شيئًا، فهى محكمة تصدر قرارات حكم على شكل توصيات ليس إلا، ومعروف لدى الجميع أن الحكومة الإسرائيلية أعلنت منذ الأساس أنها لن تلتزم بنتائج هذه المحكمة، لذلك فقد تحولت المحكمة إلى لعبة إعلامية ليس إلا، ولن تترك أدنى أثر على أرض الواقع».

جـ - ضم أم الفحم والمثلث لصالح السلطة الفلسطينية

يقول الشيخ رائد صلاح: «أؤكد أن اسم مدينة أم الفحم بدأ يتردد منذ بداية الثمانينيات، وتحديدًا بعد انتقال المنظمة إلى تونس، ولذلك يخطئ من يظن أن الحديث عن ضم أم الفحم إلى السلطة الفلسطينية هو عبارة عن مجرد قنبلة سياسية قد ألقى بها العجوز شارون من خلال الأسابيع الماضية، ويخطئ من يظن أن الحديث عن هذا الموضوع قد بدأ بعد تقديم أرنون سوفير ورقة للمؤسسة الإسرائيلية دعا فيها إلى ضرورة التنازل عن منطقة المثلث والقدس لصالح السلطة الفلسطينية من أجل مواجهة الخطر الديموغرافى الذى يشكله المسلمون، ويخطئ من يظن أن الحديث عن هذا الموضوع قد تفاقم بعد إعلان المؤسسة الصريح عن تخوفها من زيادتنا السكانية التى تجسد لها خطرًا استراتيجيًا يهدد صبغة يهودية الدولة بالانقراض.

لذلك أقول إن من الضرورى أن نعلم أن موضوع الضم هو جزء من الخطط المرجعية فى «جارور» المؤسسة الإسرائيلية منذ عشرات السنوات، وما يجرى فى هذه الأيام هو الكشف عن هذا المخطط، وليس اختراعه، ثم ما يجرى فى هذه الأيام هو سعى لصناعة الذرائع من أجل تمرير هذا المخطط، وليس من أجل التصديق عليه، الحديث اليوم مازال ضبابيًا معومًا، هل هو ضم أم الفحم، أم المثلث؟ وهل هو مجرد ضم أم ضم مع تبادل فى نفس الوقت؟

ولكن على الرغم من عدم وضوح أجوبة محددة على هذه الأسئلة، فأنا على قناعة أن العملية التى يحلو لأذرع ولأفراد فى المؤسسة الإسرائيلية أن تسميها ضمًا، أو تبادلاً هى فى حقيقة الأمر ترحيل قهرى لا يختلف عن ترحيل أهلنا سنة ١٩٤٨، إلا أن وسيلة ترحيل اليوم هى ليست دموية كالماضى، وهى ترحيل بأسلوب غير مباشر.

إن معنى ترحيل ٢٥٠ ألف مسلم عربى فلسطينى من المثلث هو إلغاء دورهم اليومى الداعم لقضية المسجد الأقصى، إذ إنهم يشكلون قوة مالية تدعم مشاريع إعمار وإحياء المسجد الأقصى، ويشكلون قوة بشرية تدعم التواجد اليومى فى المسجد الأقصى.

وكما نعلم فإن أهل الضفة والقطاع ممنوعون بالكلية من الوصول إلى المسجد الأقصى، ثم إن أهل المثلث يمثلون قوة شرائية ساهمت فى إحياء اقتصاد أهلنا فى القدس الشريف من خلال سفرهم اليومى إلى المسجد الأقصى كجزء كبير من المشاركين فى مسيرة البيارق اليومية التى تتبناها مؤسسة الأقصى، فترحيل هؤلاء معناه إلغاء كل هذا الدور الذى يقومون به نصرة للمسجد الأقصى، والقدس الشريف، وفى تصورى هذا دافع مهم لدى المؤسسة الإسرائيلية.

ولا تزال المؤسسة مستمرة فى سعيها المحموم إلى تهويد القدس، علمًا بأن القدس قضية إسلامية عربية، وليست فلسطينية فقط».

ويفسر فكرة الانسحاب الصهيونى من غزة برغبة شارون فى

تعميق هوة التصدع بين مراكز القوى فى السلطة الفلسطينية، وممارسة لعبة فرق تسد بين أجنحة السلطة، وإعداد بعض أجنحة السلطة لتسلم جمهورية غزة الفلسطينية «دحلستان المتوقعة» فى مقابل ربط الضفة مع الأردن على أساس كونفدرالى.

أمريكا والعراق

يرى الشيخ المجاهد رائد صلاح أن أمريكا دخلت إلى العراق كى لا تخرج، ودخلت لتحويله إلى قاعدة عسكرية ناشطة ستسعى من خلالها لتحويل الشرق الأوسط إلى الشرق الأوسط الأمريكى، وكذلك لتحويل العراق إلى قاعدة تجسس أمريكية - صهيونية فى قلب العالم الإسلامى للتغلغل فى العالم الإسلامى والعربى حتى النخاع، وكذلك لإعادة رسم خريطة «سايكس - بيكو» جديدة للعالم العربى والإسلامى تتفق مع المصلحة الأمريكية - الصهيونية، ولكنها نسيت شيئًا أساسيًا وهى أنها إن دخلت إلى أرض العراق بقوة السلاح، فإنها لن تستطيع الدخول إلى الشعب العراقى بقوة السلاح، ولا بقوة الإغراء، ومادام الشعب العراقى يرفضها، وعاجلاً أو آجلاً ستفر بجلدها.

ويطالب الحكومات العربية بالقيام بواجبها لنصرة القضية العراقية، فيقول: «أما الحكومات العربية، فأنا لا أتوقع لها أى دور لمساندة الشعب العراقى، وإن كنت أتمنى أن يتم تشكيل قوات حفظ سلام إسلامية عربية بمبادرة إسلامية عربية لضبط الأمن فى العراق مؤقتًا، إلى حين استقرار الوضع العراقى الداخلى، كما يجب بشرط إخراج كل القوات الأمريكية وغيرها فورًا، أما واجب الشعوب المسلمة والعربية فأقول لهم إن ظل موقفكم من الشعب العراقى كما هو موقفكم من الشعب الفلسطينى، فستضيع العراق كما ضاعت فلسطين، ثم يتوالى ضياع حبات عقد العالم الإسلامى والعربى، وعندها لن ينفعكم أن تعضوا على أصابع الندم».

إلى أهل القدس الحبيب

كم ظل الشيخ رائد صلاح معتزًا بعروبته وإسلاميته، وكم كتب عن المخاطر التى تتهدد القدس والأقصى والمخططات الصهيونية للسيطرة على المسجد الأقصى، وتهديد عروبة القدس الشريف، وإسلاميته من خلال إغلاق المصلى المروانى، ومحيطه أمام المسلمين، ومواصلة الحفريات تحت الجدار الشرقى للمسجد الأقصى، وانهيار جدار المغاربة لتنفرد به، كما انفردت بمسجد الحرم الإبراهيمى.

محاكمة الحركة الإسلامية

يعتبر اعتقال الشيخ رائد صلاح - رئيس الحركة الإسلامية - اضطهادًا دينيًا، وملاحقة سياسية، وتصفية حسابات بين أجهزة الأمن الصهيونى وشرطتها وبين الحركة الإسلامية، وإن كل لوائح الاتهام كذب وتزوير، وتقوم بخداع القضاء والمحكمة، والرأى العام اليهودى.

وإن ما يحدث للحركة الإسلامية وقياديها، ونشطائها من ملاحقة واستمرار الاعتقال ضربة لكل الوسط العربى تهدف إلى إسكات العرب جميعهم، وإن محاكمتها هى محاكمة سياسية، واضطهاد دينى، فقد كان التدخل السياسى واضحًا منذ بداية التحقيق، وحتى تقديم لوائح الاتهام، ويبدو أن هذا التدخل السياسى سيستمر على طول المشوار.

ويؤكد مسئولو الحركة الإسلامية أن المؤسسة الإسرائيلية منذ سنوات طويلة تلاحقها بسبب نشاطها الإغاثى، ومد يد العون للمحتاجين والفقراء، ومساعدة أكثر من ١٢ ألف يتيم فى الضفة الغربية، وقطاع غزة، وكذلك بسبب الدعم السياسى الذى تقدمه الحركة لنضال الشعب الفلسطينى الذى يرزح تحت الاحتلال الإسرائيلى.

ولكن رغم هذه الملاحقات تصر الحركة على مواصلة نشاطها الإغاثى فى كفالة الأيتام، أو تقديم المساعدة للمعوزين من الأرامل والفقراء، ولن تتنازل عن قواعد دينها وإيمانها.

الشيخ رائد صلاح فى خدمة الأقصى

للشيخ رائد صلاح سجل جهادى حافل بالمواقف والسياسات والأنشطة العملية فى خدمة وحماية وإعمار المسجد الأقصى تحت ظلال الحركة الإسلامية، فهو يرى أنه إذا كان الكيان الصهيونى يملك القدرة على الظلم، فإن فلسطينيى ٤٨ يملكون القدرة على الصمود والتضحية بكل غال ونفيس للذود عن المسجد الأقصى، فهم يؤمنون أن الاحتلال الصهيونى هو الإرهاب، وأن استمرار الاحتلال يعنى استمرار الإرهاب، وكلاهما يعنى إصرار المؤسسة الإسرائيلية والرسمية والشعبية على فرض استمرار المقاومة على الشعب الفلسطينى، وحمل أمانة إعمار وإحياء المسجد الأقصى المبارك.

وفى هذا الصدد شكلت الحركة الإسلامية اتحادًا طارئًا لمجموعة مؤسسات فاعلة أسموها لجنة الطوارئ الإنسانية، وضم هذا الاتحاد: مؤسسة الإغاثة الإسلامية، وجمعية الميزان لحقوق الإنسان، ومركز الدراسات المعاصرة، وجمعية البلاغ للإعلام، ومؤسسة الأقصى المبارك، ولجنة الإغاثة الإنسانية، وجمعية سند للأمومة والطفولة.

وقد نجح هذا الاتحاد الطارئ فى تقديم الكثير من الخدمات لسكان الضفة، والقطاع، والقدس الشريف، ومنها:

- توزيع أكثر من ٧٠ ألف طرد غذائى، وكذلك إحياء مشروع المؤاخاة.
- توزيع خمسة آلاف حقيبة إسعاف أولى، ومائتى حقيبة طبيب، و٢٧ مركزًا طبيًا ميدانيًا.
- استئجار مائة شقة وتأثيثها واتخاذها مسكنًا لمائة أسرة مشردة من مخيم جنين.
- السعى إلى إعمار المساجد المتضررة خلال الحصار.
- تزويد المستشفيات والمراكز الصحية بمولدات الكهرباء والأدوية والمستلزمات الطبية.
- توزيع ٢٠٠٠ طرد لأطفال مخيم جنين، وتبنى مخيم صيفى لهؤلاء الأطفال يضم ٢٥٠ طفلاً.

- إصدار كتاب بعنوان: «مخيم جنين - رواية لاجئ» يتحدث عن صور من مأساة الحصار الذى يعيشه سكان المخيم.

- كفالة مئات الطالبات الجامعيات فضلاً عن متابعة عدد من المشاريع منها:

❖ توثيق المجازر من خلال طواقم محامين، وما يلزم من متخصصين لهذه المهمة.

❖ متابعة قضايا المعتقلين.

❖ الاستعداد لإعمار البيوت المهدمة والمتضررة فى مخيم جنين، وخلال الحصار على الضفة، وغزة، ومع اندلاع انتفاضة الأقصى وسقوط آلاف الشهداء الذين خلفوا وراءهم عشرات الآلاف من الأيتام، وآلاف الأرامل، وآلاف العائلات الجائعة المحرومة، فضلاً عن عشرات الآلاف من الجرحى والمعوقين.

تصاعدت حملات الإغاثة العالمية والمحلية لدعم الشعب الفلسطينى فى الضفة وغزة، كما نشطت حملات الإغاثة العالمية، ونشطت الجامعة العربية، وألزمت أعضاءها لتخصيص الميزانيات الكبيرة لدعم سكان الضفة، والقطاع، والقدس الشريف، وكذلك نشط المؤتمر الإسلامى، والشعوب العربية والمسلمة، والمؤسسات الإنسانية فيها فى دعم وتعزيز مساعى الجامعة العربية، إلا أنه بعد مضى أربع سنوات على تواصل انتفاضة الأقصى اختفت حملات الإغاثة العالمية، وكأن انتفاضة الأقصى قد انتهت منذ سنوات، هذا على الصعيد الرسمى، وإن كانت مؤسسات الإغاثة الإنسانية على الصعيد العربى والإسلامى، مازالت تؤدى دورًا كبيرًا ومستمرًا حتى الآن فى دعم الأهالى فى المسكن والملبس والمطعم والمشرب.

وفى جانب التنمية الاقتصادية، وفى مساندة المعتقلين والجرحى والأيتام.

ومع استمرار حملات الاعتقال منذ بداية الانتفاضة أصبح هناك ما يزيد عن ٣٠ ألف معتقل فى السجون الإسرائيلية يعيشون فى ظروف قاسية تكاد تكون أصعب من ظروف معتقلى تنظيم القاعدة فى جوانتانامو.

ومازالت قوات الاحتلال تمارس سياستها فى تدمير كامل لكل الحياة الفلسطينية فى الضفة وغزة من تجريف المزروعات والأراضى، وهدم البيوت، وتشريد آلاف العائلات، وتدمير شبكات الكهرباء والمياه، وفرض منع التجول لأشهر عديدة متواصلة فى كثير من المدن والقرى الفلسطينية، ناهيك عن الحصار والإرهاب، والتنكيل، وقصف البيوت على من فيها تمهيدًا لتنفيذ مخطط ترحيل الشعب الفلسطينى، وتصاعد معدلات المشاكل النفسية بين الأطفال فى ظل درجة عالية من اللامبالاة تقترب من التخاذل العربى فى جهود الإغاثة، وإعمار الخراب الذى لحق بالمجتمع الفلسطينى فى الضفة وغزة، فمن لهم إن لم نكن نحن؟!■